وقيل همها امتناعه عنها وقيل نظر اليها وقيل ان الواقعه كانت قبل نبوته وقد ذكر
بعضهم ما زال النسا يملك الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله تعالى فالقى عليه هيبته
النبوه فشغلت هيبته كل من راه عن حسنه وبالجملة فليس في القرآن حكم عليه
عليه الصلاة والسلام بمعصية ولا شيء بل فيه التصريح ببراءته والتنويه بكمال
طهارته فقد قال تعالى ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى كذلك لنصرف
عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله
انه ربي احسن مثواي الاية من غير ان يذكر عنه وقوع في زلة او استغفار من
معصية وتوبة من فاحشة واما جعل السقاية في رحل اخيه فقد كان باذنه ورضاه
بل باذن الله تعالى واما نسبة السرقة الى اخوته فتورية لما كانوا فعلوا بيوسف
ما يجري مجرى السرقة مع ان تلك النسبة انما هو قول المؤذن واما السجود فقد
كان عندهم تحية وتكرمة كالقيام والمصافحة عندنا لا السجود الشرعي الذي هو احد
اركان العبادة او انه كان مجرد انحناء وتواضع لا وضع جبهة في الارض ومجرد الانحناء
للمخلوق الحق فيه الكراهة وان رجح بعضهم حرمته واما قصة موسى فالاشكال فيها
من وجه قتل القبطي وتوبته عنه واعترافه بكونه من عمل الشيطان واذنه
للسحرة في اظهار السحر والقائه الالواح وفيها التوراة واخذه براس هارون ولحيته
وجره اليه وقوله للخضر لقد جئت شيئا نكرا وذلك اساءة ظن به مع ان الخضر لم يفعل
ما فعل الا بامر الله تعالى والجواب انه وكز القبطي بالعصى وكونه يريد بها
دفع ظلمه ولم يتعمد قتله فافضى الى قتله خطا وذلك لا معصية فيه وتوبته من ذلك
واعترافه بكونه من عمل الشيطان محمول على انه اشفاق من جهة انه لا ينبغي لنبي
ان يقتل مستحق القتل حتى يؤمر بذلك لخطر الدماء اذ هي اول ما يقضي الله فيه
يوم القيامة قاله ابن جريج وقتادة والنقاش او محمول على انه صدر منه قبل النبوة
كما هو مقتضى التلاوة واما اذنه للسحرة في اظهار السحر بقوله بل القوا ما انتم
ملقون فليس رضى به بل غرضه اظهار ابطاله او اظهار معجزته وذلك لا يتم الا باظهارهم
اياه وقيل ان السحر لم يكن حراما اذ ذاك واما القاء الالواح فكان عن دهشة وغيبة
لشدة غضبه واما الاخذ براس هارون ولحيته فلم يكن على سبيل الايذاء
بل فعله ليدنيه الى نفسه ويقربه اليه ليتفحص منه حقيقة الحال مخافة ان هارون
ان يحمل بنو اسرائيل فعله به ذلك على الايذاء فيفضي ذلك الى شماتة اعدائه به وحسده
لم يتبين بذلك ذنب له ولا لهارون فانه كان ينهاهم عن عبادة العجل واما قوله
للخضر لقد جئت شيئا نكرا فليس معناه انه فعل منكرا ضد المعروف بل معناه انه
فعل امرا عجيبا تخفى حكمته وتدق رتبته واما ما روي في الحديث الصحيح من ان
ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقاها الحديث فليس فيه ما يحكم على موسى عليه
والسلام

٢٢

والسلام بالتعدي وفعل ما لا يجوز له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دفع
عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي فيمكن ان لا يكون موسى عليه
الصلاة والسلام علم انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين
تلك الصورة التي تصور له فيها ملك الموت امتحانا من الله تعالى ولاجل ذلك لما جاءه بعد
في صورة الملائكة واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم له واطاع وهذا الجواب للمازري قال
القاضي وهو احد اجوبة للمتقدمين والمتاخرين على هذا الحديث ولابن ابي عائشة
من المتقدمين وغيره ان المراد باللطم الصك اقامة حجة موسى وان المراد بفقء العين
ادحاض حجة ملك الموت في المقدمة الاولى قال وهو كلام مستعمل في هذا الباب من
اللغة معروف عند اهلها واما قوله تعالى وفتناك فتونا فمعناه ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء
فيما جرى له مع فرعون في غير ما موطن من مواطن ارشاده حتى اهلكه الله تعالى
وقيل بالقائه في اليم بالتابوت وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد
من قولهم فتنت الفضة بالنار اذا خلصتها واصل معنى الفتنة الاختبار واظهار
ما بطن ثم استعملت في عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وقد تقدم بزيادة مباحث
تتعلق بهذا فراجعها ان شئت واما قصة نوح ومخاطبته ربه في نجاة الذين ظلموا
من الغرق فليس في ذلك ما يقتضي عصيانه وارتكابه الذنب بل انه اخذ بالتاويل
وظاهر اللفظ حيث اراد التخلص عن حقيقة ما انطوى عليه هذا اللفظ على
التعيين لانه تمسك في وعد الله حيث قال ان ابني من اهلي فبين الله تعالى له انه
ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله غير الصالح فانتهى بعد اعلام الله
انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فعتب عليه بذلك التاويل وان
لم يكن ذنبا واشفق من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه
على ان النقاش حكى ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يكن عالما بكفر ابنه وقد مر تتمة
تاويل في الاية واما قول ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فانما صدر
منه هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر
لهم ما يبدو منهم واستغفارا لما عساه ان يعد خطيئة وقد تكلم على كلماته الثلاث
اني سقيم بل فعله كبيرهم هذا وقوله في زوجته هي اختي ولا يرد انها معاريض وليست
خطايا كما مر لان المراد الخطيئة ولو صورة بحسب الظاهر على طريق الاشفاق لانها
هذه التاويلات التي ذكرتها والتفسيرات التي نقلتها ربما يعتبر وجوهها وصفه تعالى
الصادر عن مثل ادم عليه الصلاة والسلام بالعصيان والغواية وابرهيم بالخطيئة
وان في حديث الشفاعة اعتراف ابيهما بانها ذنوب وانه ورد ذكر توبتهم واستغفارهم
وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم ولا يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء لانا نقول
ممنوع بل درجتها ويظهر بهجة حسنها فان درجة الانبياء في الرفعة والعلو وكمال المعرفة

Copyright © King Saud University